قِصَّةُ
سُليمانَ عَلِيهِ السَّلام

لأبى الفضل الحافظ

عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى

غفر الله له

الطبعة الثانية

الناشـــر

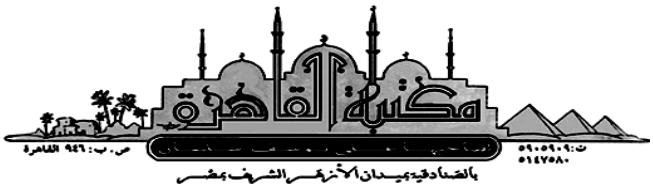

تأسست : ١٩٣٥

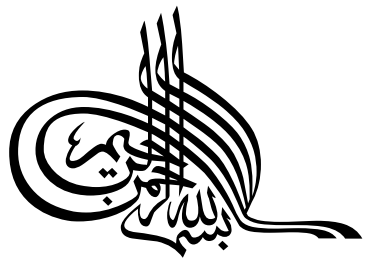

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٧/١٧٥٩
الترقيم الدولى I.S.B.N
978-977-401-12-١١٤-٢٠

جميع حقوق الطبع والتحقيق والشرح والتعليق والنشر والتوزيع والنقل والترجمة والاقتباس حسب قوانين النشر

خاصة بمكتبة القاهرة

لصاحبها: على يوسف سليمان وأولاده

١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال : ٠١٢٢٧٥٠٩٤٢ / ٠١٠٠١٢٢٠١١٢

رمز بريدى ١١٥١١ الأزهر ـ القاهرة

tarekali5992@yahoo.com

جمهورية مصر العربية

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمدٍ وآله الأكرمين.

وبعد: فهذه "قصة سليمان عليه السلام" كتبتها على نَمَطِ القَصَصِ التي كتبتها، وهي قصة "آدم" و"إدريس" و"داود" عليهم السلام، أبيِّن ما صحَّت به الرواية، أو ساعد عليه لفظ الآية، وأنفي ما جاء في الإسرائيليات، مما يدخل في باب الخُرافات، وأحل مشكلة ما يتعلَّق بالنبيِّ مما ينافي العصمة، أو يحطُّ مِن قَدْرِ النبوَّة.

واللهُ المسئول أن يوفِّقني ويعصمني من الزَّلل، إنه قريبٌ مجيبٌ.

وأحب أن أفتتح هذه القصة ببيان تناسب آيات سورة (ص) وارتباط بعضها ببعض ليعرف موضع القصص المشار إليها في تلك السورة المبدوءة بذكر خصومة المشركين للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورميهم إياه بالسحر والكذب وغير ذلك من التهم الباطلة، حتى قالوا على سبيل العناد والاستهزاء: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

فقال الله له: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧] وأمره بما يُعينه على الصبر، ويسليه عما أصابه من أذى قومه وعنادهم، وهو ذكر حال جماعة من الأنبياء قبله كيف امتحنوا بأذى قومهم، أو ابتلوا في أنفسهم أو أهليهم أو أموالهم فصبروا حتى فازوا برضا الله، والدرجات العلا في جنات النعيم.

وبدأ بداود عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧] وذكر نبأ الخَصم الذي فسَّرناه في "قصة داود".

ثُمَّ ثنَّىٰ بقصَّة سليمان عليه السلام وافتتحها بالثناء عليه حيث قال جلَّ شأنه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

ثُمَّ ثلَّث بذكر أيوب عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤١ – ٤٤].

ثُمَّ ذكر بقيَّتهم فقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص: ٤٥]، ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨].

فإيراد هؤلاء الأنبياء في سِياق المَدْحِ والثَّناءِ يُستفاد منه أمورٌ:

الأول: حَثُّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ التَسَلِّي بحالهم والتأَسِّي بهم.

الثاني: بُطلان ما جاء في الإسرائيليَّات عن داود وسليمان وأيوب عليهم السلام؛ لأن دلالة السِّياق لها الاعتبار الأوَّل، وغَلَطُ المفسِّرين المتقدِّمين والمتأخِّرين سببه غفلتهم عن دلالة السِّياق التي هي أكبر عونٍ علىٰ تفسير الآيات وفهمها فهمًا صحيحًا يوافق ما سِيقت لأجله، ونبَّهت علىٰ ذلك مع بعض الأمثلة في قصة داود عليه السلام.

الثالث: ينبغي للعامل بالسُّنَّة والدَّاعي إليها أن يتمسَّك بالصبر وتحمل المشاقِّ في دعوته اقتداءً بهؤلاء العُظماء، وهكذا كلُّ داعٍ إلىٰ خيرٍ وحقٍّ يلزمه أن يتَّخِذ هذا شِعاره ولا ينحرف عنه لغرضٍ من الأغراض.

إذا تقرَّرت هذه المقدمة الوجيزة أمكن أن نتكلَّم في قصة سليمان عليه السلام، وفتنته، والجسد الذي ألقي على كرسيِّه، والصَّافِنات التي عُرضت عليه، والمُلْك الذي طلبه وغير ذلك على هدىً وبصيرةٍ، نقبل ما يوافق السِّياق واستقام مع نظم الآية، ونردُّ سوىٰ ذلك، والله الموفِّق والهادي.

رسالة سليمان عليه السلام

سليمان عليه السلام رسولٌ كريمٌ، ذُكِر بوصف الرِّسالة في عِدَّة آياتٍ:

الأولى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وهم الرسل العشرة المذكورة في سورة (البقرة): النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وآدم، وموسى، وعيسى، وسليمان، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وداود، ذكرتهم على ترتيب ذكر أسمائهم في سورة (البقرة).

الآية الثانية: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

الآية الثالثة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

فسليمان رسولٌ كريمٌ ابن رسول كريمٍ عليهما السلام، وتقدَّم نسبه في قصة أبيه داود.

الصافنات

قال الله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣١-٣٣]. **الصَّافِنات:** جمع صَافِن.

والجِياد: جمع جَوَاد -بتخفيف الواو- للفرس الشديد أي: السريع، وقيل

للفرس: «جواد» لطول جِيده -أي عُنقه- وطول العنق في الفرس محمودٌ.

وفي الصَّافِن وجهان:

أحدهما: أنَّ صُفُون الخيلِ قيامها، والصَّافِن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها، وفي الحديث: «إذا رَفَعَ رَأسَهُ مِن الرَّكُوعِ قُمْنا خَلْفَهُ صُفُونا».

والآخر: أنَّ صُفونها: رفع إحدىٰ اليدين علىٰ طرف الحافِر، حتَّىٰ يقوم علىٰ ثلاث، قال عمرو بن كلثوم:

تَرَكْنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتُها صُفُونَا

قال مقاتل: «وَرِثَ سليمان من أبيه داود ألف فرسٍ، وكان أبوه أصابها من العمالقة».

وقال الكلبيُّ: «غزا سليمان أهل دمش ونصيبين فأصاب منهم ألف فرسٍ».

وقال الحسن: «بلغني أنها كانت خيلًا خرجت من البحر لها أجنحةٌ».

وقال الضَّحَّاك: «إنها كانت خيلًا أُخرِجت لسليمان من البحر منقوشةً ذات أجنحةٍ».

وقال ابن زيدٍ: «أخرج الشيطان لسليمان الخيل من مروج البحر وكانت لها أجنحةٌ».

وقيل: كانت مائة فرسٍ، وقال ابراهيم التيميُّ: «كانت عشرين ألفًا، وقيل: عشرة آلاف فرس، وقيل: كان فيها عشرون فرسًا من ذوات الأجنحة».

قال أبو حَيَّان في "البحر": «وقد اختلفوا في عدد هذه الخيل علىٰ أقوال متكاذبةٍ سوَّدوا الورق بذكرها».اهـ

روىٰ أبو داود في "سننه" عن عائشة قالت: قَدِمَ رسول صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سَهْوَتها سِتْرٌ، فهبَّت الرِّيح فكشفت ناحية السِّتر عن بناتٍ لعائشة، فقال: «**ما هذا يا عائشةُ؟**» فقالت: بناتي، ورأى بينهنَّ فرسًا له جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذي أرى وَسْطَهُنَّ؟**» قالت: فرسٌ. قال «**و ما الذي عليه هذا؟**» قالت جناحان، قال: «**فرسٌ له جِناحان؟**» قالت: أما سمعتَ أنَّ لسليمان خيلًا لها أجنحةٌ؟ قالت: فضَحِك حتى رأيت نواجِذَهُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ورواه النَّسائيُّ أيضًا.

وضَحِكَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقول عائشة حيث احتجَّت بما لم يثبت نقله، وإن كان وجود خيلٍ بأجنحةٍ جائزًا في القُدْرَةِ الإلهيَّة.

وكان لسليمان ميدانٌ يُسابِق فيه بين الخيل حتَّى تتوارى عن بصره، وتدخل اصطبلاتها وهو الحِجاب، وكان له ذِكْرٌ شغلته عنه في ذلك اليوم فقال: رُدُّوها عليَّ فطَفِقَ يَمْسَحُ سُوقها وأعناقها اعتناءً بها وتكريمًا لها.

وفي "الموطأ" عن يحيى بن سعيدٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رُؤي وهو يَمْسَحُ وجْهَ فرسه بردائه، فسُئل عن ذلك، فقال «**إنِّي عُوتبت الليلةَ في الخيلِ**».

ووصله ابن عبدالبر من طريق مالكٍ، عن يحيى، عن أنسٍ رضي الله عنه.

ورواه أبو عبيدة في "كتاب الخيل" من طريق عبدالله بن دينار بلفظ: «**إنَّ جبريل باتَ الليلةَ يُعاتِبُني في إذالة الخيلِ**». أي: امْتِهانِها.

وروى النَّسائيُّ عن أبي وهبٍ الجشميِّ -و كانت له صحبةٌ- قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ارْتَبِطُوا الخيلَ وامْسَحُوا بنواصِيها وأكْفَالِها**».

وما قيل: إنَّ سليمان فاتته صلاة العصر فعَرْقَبَ الخيلَ وذَبَحَها ليس بصحيحٍ، ولم تكن صلاة العصر مفروضةً في تلك الشريعة.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أُبيٍّ بن كعبٍ مرفوعًا: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، قال: «**قَطَعَ سُوقَها وأعناقَها**». فيه سعيد بن بشيرٍ وهو ضعيفٌ.

قال ابن العربي في "الأحكام": «عُرضت الخيل علىٰ سليمان عليه السلام فشغلته عن صلاة العشيِّ. قال المُفسِّرون: هي صلاة العصر، وقد روىٰ المُفسِّرون حديثًا: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صلاةُ الوُسْطَى صَلاةُ العَصْرِ، وهي التي فاتَتْ سُليمانُ**» وهو حديثٌ موضوعٌ».اهـ

قلت: المعروف في الحديث الصحيح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلاةُ الوُسْطَى صَلاةُ العَصْرِ**».

وله طرقٌ في "المسند" والستة عن عليٍّ، وابن مسعودٍ، وسمرة، وعمر، وأبي هريرة، وغيرهم.

(تنبيه): استدل الشبليُّ وغيره من الصوفية بناءً علىٰ القول بأنَّ سليمان عَرْقَبَ الخيلَ وذَبَحَها علىٰ تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان، قال القرطبيُّ: «وهو استدلالٌ فاسدٌ؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إلىٰ نبيٍّ معصومٍ أنه فعل الفساد.

والمُفسِّرون اختلفوا في معنىٰ الآية، فمنهم من قال: مَسَحَ علىٰ أعناقها وسُوقِها إكرامًا لها، وقال: أنتِ في سبيل الله. فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عَرْقَبَها ثُمَّ ذَبَحَها -وذَبْحُ الخيلِ وأكل لحمها جائزٌ- وعلىٰ هذا فما فعل شيئًا

عليه فيه جناحٌ، فأمَّا إفساد ثوبٍ صحيحٍ لا لغرضٍ صحيحٍ فإنه لا يجوز، ومِن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل، ولا يكون في شَرْعِنا».اهـ

والصحيح: أنَّ شرعَ مَن قبلنا ليس شرعًا لنا إلَّا إذا أقرَّه القرآنُ أو السُّنَّةُ، لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فتنة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. قال أبو حَيَّان: «نقل المُفسِّرون في هذه الفِتنة وإلقاء الجسد أقوالًا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها وإنما هي من أوضاع اليهود والزنادقة.

ولما أمر تعالى نبيَّه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفَّار قريشٍ وغيرهم أمره بأن يذكر مَن ابُتلِيَ فصَبَر، فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة أيوب ليتأسَّى بهم، وذكر ما لهم عنده من الزُّلْفَى والمكانة، فلم يكن ليذكر من يتأسَّى به ممن نسب المُفسِّرون إليه ما يعظم أن يتفوَّه به، ويستحيل عقلًا وجود بعض ما ذكروه كتمثُّل الشيطان بصورة سليمان حتى يتلبَّس أمره عند الناس، ويعتقدون أنَّ ذلك المُتصوَّر هو النبيُّ، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبيٍّ، وإنما هذه مقالةٌ مُسْتَرَقَةٌ مِن زنادقة السوفسطائية، نسأل الله سلامة عقولنا وأذهاننا».

وقال ابن العربي في "الأحكام": «ولقد كان من حسن الأدب مع الأنبياء صلوات الله عليهم ألا تُبَثَّ عَثَرَاتُهم لو عَثَرُوا، ولا تُبَثَّ فَلَتَاتُهم لو اسْتَفْلَتُوا،

فإن إسبال السِّتر على الجار والولد والأخ لفضيلةٌ وأكبر فضيلةٍ، فكيف سترت على جارك حتى لم تقصَّ نبأه في أخبارك وعكفت عن أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبَّسوا به ولا تلوَّثوا به؟ نعوذ بالله من هذا التعدِّي والجهل بحقيقة الدِّين في الأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين».اهـ

وروى عبدالرزَّاق وابن المنذر عن ابن عبَّاسٍ قال: أربع آياتٍ من كتاب الله لم أدر ما هي حتى سألت عنها كعبَ الأحبار، فذكر منها: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

وهذا يفيد أنَّ ما ذكره ابن عبَّاسٍ في الفتنة ونحوها مأخوذٌ عن كعبٍ، وعلى هذا فلا بأس أن نخالفه في ذلك؛ لأنه من الإسرائيليَّات.

ويظهر أنَّ كعب الأحبار كان قبل إسلامه لا يعتقد عصمة الأنبياء مثله في ذلك مثل سائر اليهود، فلما أسلم استمرَّ على هذه العقيدة، فكان يروي في قصص الأنبياء ما ينافي عصمتهم ولا يرى في ذلك بأسًا.

وقد حكى ابن حزمٍ في "الفِصَل" عن اليهود والنصارى وعن الكرامية جواز المعصية على الأنبياء، ولكني أعجب من أئمة التفسير مثل مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير ينقلون عن كعب أشياء تمس مقام الأنبياء ولا ينتبهون لما فيها من نكارة!! مع أنَّ المُقرَّر عند العلماء بالاتفاق: أنَّ الاسرائيليَّات مردودةٌ إذا كانت من هذا القَبيل.

وقال ابن حزمٍ في "الفِصَل" في الجواب عمَّا نُسب إلى بعض الأنبياء ممَّا ينافي مقامهم: «وذكروا قول الله عزَّ وجلَّ عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا

سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] قال: ولا حُجَّة لهم في هذا إذ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: آتيناه مِن المُلْك ما اختبرنا به طاعته، كما قال تعالىٰ مُصَدِّقًا لموسىٰ عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أنَّ مِن الفِتنة أن يهدي الله مَن يشاء.

وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣] فهذه الفتنة هي الاختبار حتَّىٰ يَظْهَرَ المُهتدي من الضالِّ.

فهذه فتنة الله تعالىٰ لسليمان إنما هي اختباره حتَّىٰ ظهر فضله فقط، وما عدا هذا فخُرافاتٌ وَلَدَها زنادقةُ اليهود وأشباههم، وأمَّا الجسد المُلْقَىٰ علىٰ كرسيِّه فقد أصاب الله تعالىٰ به ما أراد، نؤمن بهذا كما هو ونقول صدق الله عزَّ وجلَّ.

ولو جاء نصٌّ صحيحٌ في القرآن أو عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بتفسير الجسد ما هو لقُلْنا به، إلَّا أننا لا نشكُّ البتَّة في بُطلان قول مَن قال إنه جِنيًّا تصوَّر له بصورته، بل نقطع علىٰ أنه كذبٌ، والله تعالىٰ لا يَهْتِكُ سِتْرَ رسوله عليه السلام هذا الهَتْك، وكذلك نُبعِد قول مَن قال: كان ولدًا له أرسله إلىٰ السحاب ليربِّيه، فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع الله عزَّ وجلَّ بِنْيَةَ البشر عليه من اللبن والطعام، وهذه كلُّها خرافاتٌ موضوعةٌ مكذوبةٌ لم يصح إسنادها قَطُّ».اهـ

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وُلِدَ لسُليمانَ بن داودَ ابنٌ، فقالَ للشَّياطينِ: أين نُوَارِيهِ مِن**

المَوْتِ؟ فقالوا: نَذْهَبُ به إلى المَشْرِقِ. قال: يَصِلُ إليه المَوْتُ. قالوا: فإلى المَغْرِبِ. قال: يَصِلُ إليه المَوْتُ. قالوا: إلى البِحَارِ قال: يَصِلُ إليه، قالوا: نَضَعُهُ بين السَّماءِ والأرضِ، ونَزَلَ عليه مَلَكُ المَوْتِ، فقال: يا ابنَ داودَ: إنِّي أُمِرْتُ بقَبْضِ نَسَمَةٍ طَلَبْتُهَا في المَشْرِقِ فلم أُصِبْهَا، فطَلَبْتُهَا في المَغْرِبِ فلم أُصِبْها، وطَلَبْتُها في البِحَارِ، وطَلَبْتُها في تُخُومِ الأَرَضِينَ فلم أُصِبْهَا، فبَيْنَا أنا أَصْعَدُ إذ أَصَبْتُهَا، فقَبَضْتُهَا، وجاء جَسَدُهُ حتَّى وَقَعَ على كُرْسِيِّهِ، فهو قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]».

في سنده يحيىٰ بن كثيرٍ صاحب البصري؛ متروكٌ والحديث مُنكَرٌ.

والمقصود: أنَّ ما ذكره المُفسِّرون في فتنة سليمان وإلقاء الجسد علىٰ كرسيِّه لايصح.

وجاء عبدالوهاب النجَّار فأبدىٰ في "قصص الأنبياء" وجهًا لم يذكره أحدٌ من العلماء كما قال، وهو أنَّ كرسيَّ داود إنما هو كرسي سليمان؛ لأن داود كان يرشح سليمان للملك والجلوس علىٰ كرسيِّه، وقد قام أبشالوم ابن داود وثار علىٰ والده وانتزع الملك من داود، وجلس علىٰ الكرسيِّ الذي هو في الواقع كرسي سليمان، وهرب منه داود إلىٰ شرق الأردن، وسرح الجيوش لمقاتلته وباشر أبشالوم الحرب بنفسه، فقتل أبشالوم إذ مر به بغله تحت بُطْمَةٍ فتعلَّق في أغصانها من شعره فأتىٰ رئيس الجند وقتله، وعاد سليمان إلىٰ كرسيِّه بعد أن تزعزع بفعل أخيه أبشالوم، وتضرَّع إلىٰ الله وسأله مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، لا شك في أنَّ سليمان في تلك البرهة كان يعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ الكرسيَّ المَلَكيَّ أفلت من يده، فاستغفر الله لما أسلف من هواجس نَفْسِيَّة لا يخلو منها مَن كان

مثله في زمن الصِّبا من زَهْوٍ بذلك الكرسيِّ الذي ينتظره، فامتحنه الله بمن اغتصب ذلك الكرسيَّ وتسرَّب إلى نفسه دبيب اليأس، فاستغفر ربَّه لتلك الهواجس التي تُعَدُّ على المُقرَّبين ذنوبًا وهي غير ذنوبٍ».

قلت: هذا وجهٌ بعيدٌ، بل باطلٌ فإنَّ أبشالوم ثار على والده وانتزع منه كرسيَّ المملكة، فلمَّا هُزم رجع الكرسيُّ إلى داود، وسليمان كان إذ ذاك صبيًّا، والصبيُّ لا يلحقه امتحانٌ لعدم تكليفه، ودعوى أنَّ نسبة الكرسيِّ إلى سليمان من باب مجاز الأول مثل: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦] باطلةٌ؛ لأن المجاز لا بد له من قرينة، وآية فتنة سليمان لا قرينة فيها على هذا المجاز، ثُمَّ ما الحِكْمة في أن يترك الله نسبة الكرسيِّ إلى داود الذي هو صاحبه ومنه انتُزع ورجع إليه وينسبه إلى سليمان الذي سيئول إليه بعد موت والده؟!.

وتقدَّم أنَّ سليمان عليه السلام ذُكِر للتأسِّي به في صبره على ما امتُحن به، والفِتنة هي المقصودة بالتأسِّي والتَّسَلِّي، والصبيُّ لا يُتَسَلَّى به ولا يُتَسَلَّى بفعله.

ثُمَّ إنَّ جميع ما ذُكِر في قصته من عرض الصَّافِنات الجِياد، وتسخير الرِّيح والجنِّ والشياطين وغير ذلك حصل له وهو بالغٌ، فكذلك الفِتنة حصلت له وهو بالغٌ مُكَلَّفٌ لا سيِّما وهي محل العبرة والتأسِّي.

ويجب أن نُنبِّه على مسألةٍ مهمَّةٍ غفل عنها النجَّار كما غفل عنها غيره، وهي أنَّ الذي يحاول دفع إشكال في آيةٍ قرآنيَّةٍ أو حل معنى غامضٍ فيها يجب عليه أن يراعي السِّياق الذي جاءت الآية فيه ليكون كلامًا موافقًا لموضوع الآية وسياقها مستوفيًا لجوانبها. . . إلخ. ولا يجوز أن يقتصر على ألفاظ الآية فقط، فهو حلٌّ غير سليمٍ ولا مقبول.

والذي أرجِّحه في فِتنة سليمان عليه السلام وإلقاء الجسد علىٰ كرسيِّه: ما رواه الشيخان مِن طُرقٍ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال سليمانُ بن داودَ: لأطُوفَنَّ الليلةَ على سبعين امرأةً تَحْمِلُ كلُّ امرأةٍ فارِسًا يُجاهِدُ في سبيل الله، فقال له صاحِبُهُ: إن شاء اللهُ. فلم يَقُلْ، ولم تَحْملْ مِنهُنَّ شيئًا إلَّا واحِدًا ساقطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ**». فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو قالها لجاهَدُوا في سبيلِ الله**».

وفي روايةٍ: «**فلم يحمل مِنْهُنَّ إلَّا امرأةٌ واحِدَةٌ جاءت بشِقِّ رَجُلٍ**».

وفي روايةٍ: «**وَلَدَتْ شِقَّ غُلامٍ**». وكلُّها في "الصحيح".

و حكىٰ النقاش في "تفسيره": أنَّ الشِّقَ المذكور هو الجسد الذي أُلقِيَ علىٰ كرسيِّه، ففِتنة سليمان أنه لم يَقُلْ إن شاء اللهُ حين تمنَّىٰ أن يُرزَق أولادًا يُجاهدون في سبيل الله، ولم يقلها نسيانًا مع قوة رجائه في أن يُحقِّقَ اللهُ له ما تمنَّاه مِن الخير، وكان إلقاء الشِّقِّ علىٰ كرسيِّه تنبيهًا له علىٰ ما غَفَلَ عنه ونَسِيَهُ.

قال الحافظ في "فتح الباري": «قوله: «**لو قال: إن شاء اللهُ لجاهَدُوا في سبيل الله فُرْسَانًا أجمعون**»، ولا يلزم من إخباره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذلك في حَقِّ سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك لكلِّ مَن استثنىٰ مِن أُمنيَّته، بل الاستثناء رجو الوقوع، وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع».اهـ

قلت: ومن القواعد المُقرَّرة أن العلامة لا يلزم اطرادها.

قال الحافظ: «وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطي أسبابه، وأنَّ كثيرًا من المباح والملاذِّ يصير مستحبًّا بالنيَّة والقصد، وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سأفعل كذا، وأن اتِّباع المشيئة اليمينَ يرفع حُكْمها، وهو متفقٌ عليه بشرط

الاتصال، وفيه أنَّ الاستثناء لا يكون إلَّا باللفظ ولا يكفي فيه النيَّة، وفيه ما خُصَّ به الأنبياء من القوة على الجماع الدالِّ على صِحَّة البِنية وقوَّة الفُحُوليَّة وكمال الرُّجُوليَّة، مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم، وقد وقع للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من ذلك أبلغ المعجزة؛ لأنه مع اشتغاله بعبادة ربِّه وعلومه ومعالجة الخَلْق كان مُتقَلِّلًا من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في ليلةٍ بغسلٍ واحدٍ وهنَّ إحدى عشرة إمرأة». اهـ

ولعبدالوهاب النجَّار في "قصص الأنبياء" موقفٌ غير كريمٍ مِن هذا الحديث الصحيح، وهو مُعاقَبٌ عليه عند الله إن لم يتداركه بعفوه، فإنه اعترض على الحديث بوقاحةٍ وقِلَّة حياءٍ مع جهلٍ كبيرٍ، وبلغ منتهى الوقاحة والجهل حيث قال: «ولم يجعل الله تعالى معجزة الأنبياء في السفاد وغَشَيَانِ النِّساءَ، ومسابقة الحيوان في هذا الضرب، ولا يوجد متحدٍّ بمثل هذا حتى تتمَّ المعجزة»، وزعم أنَّ الليلة لا تسع ذلك أصلًا مهما قدرت حظًّا صغيرًا لكلِّ امرأةٍ مِن الزَّمَن.

وغَفَلَ عن طيِّ الزمان الذي جعله الله آيةً للأنبياء، فعرش ملكة سبأ نقل من محلِّه إلى الشام في طَرْفَة عَيْنٍ وبينهما أكثر من شهرٍ، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُسري به من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهرٍ في جزءٍ من الليل، وداود يُسِّرت له قراءة الزَّبُور فكان يأمر بدوابِّه تسرج فيقرأه قبل إسراجها.

وليس كلُّ خارقٍ لنبيٍّ معجزةً له قُصِدَ بها التحدِّي، بل المسألة فيها تفصيلٌ نوجِزُه فيما يلي:

قال العلماء: **الخارق سبعة أنواعٍ:**

١- **إرهاصٌ:** هو ما يقع للنبيِّ قبل النبوة، مثل: كلام عيسىٰ في المهد، وشقِّ صدر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو عند مرضعته كما ثبت في "صحيح مسلم".

٢- **معجزةٌ:** وهي ما يقع للنبيِّ يتحدَّىٰ به قومه، مثل عصا موسىٰ التي انقلبت ثعبانًا، وإبراء الأَكْمَهِ والأَبْرَصِ وإحياء الموتىٰ لعيسىٰ، والقرآن الكريم وانشقاق القمر للنبيِّ، وهذا الخارق يكون بطلب النبيِّ ورغبته.

٣- **آيةٌ:** وهي ما يقع للنبيِّ لا بقصد التحدِّي مثل: نبع الماء من أصابع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وحنين الجِذْع له.

وقد يحصل بغير رضا النبيِّ لِحِكْمة مثل: فرار الحَجَر بثوب موسىٰ كما ثبت في "الصحيحين" حتَّىٰ مرَّ علىٰ ملأ مِن بني إسرائيل وهو عريان فرأوا جسده سالمًا لا عيب فيه.

وهذا الحديث ذكره النجَّار في قصة موسىٰ وأنكره بأسلوبٍ فيه وقاحةٌ واستهزاءٌ.

ومثل حمل مريم بعيسىٰ وهي بكرٌ لم يمسَّها بشرٌ وساءها ذلك حتىٰ قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

ومثل حديث فِتنة سليمان المذكور.

٤- **الكرامةُ:** وهي ما يقع لوليٍّ معروفٍ بالتقوىٰ والصلاح، مثل ما وقع

لأهل الكهف من قيامهم من النوم بعد مئات السنين.

ومثل ما وقع من الكرامات لكثير من الصحابة، ولي كتاب "الحُجَجُ البيِّنات في إثبات الكرامات".

٥- **معونةٌ**: وهي ما يقع لمؤمنٍ من تفريج كربةٍ، أو إنقاذٍ مِن أزمةٍ من غير سعي منه ولا استعانةٍ بأحدٍ.

٦- **إهانةٌ**: وهي ما يقع للمتنبِّي بنقيض قصده مثل: ما يُحكَىٰ أن مُسَيْلَمَةَ الكذَّاب مَسَحَ بيده رأس صبيٍّ فقرع، وتَفَلَ في بئرٍ فنَضَبَ ماؤُها وصار مِلْحًا.

٧- **السِّحْرُ**: وهو معروفٌ.

فتبيَّن من هذا: أنَّ الخارِقَ بالنسبة للنبيِّ ثلاثة أنواعٍ: إرهاصٍ، ومعجزةٍ وآيةٍ، وأنَّ الآية لا يلزم أن تكون بطلب النبيِّ بل قد تكون بغير إرادته لِحِكْمَةٍ، كفرار الحَجَر بثوب موسىٰ؛ فإن الحِكْمَة فيه براءة موسىٰ، وكإلقاء الجسد علىٰ كرسيِّ سليمان فإنَّ حِكْمَته تنبيهه علىٰ ترك الاستثناء.

والمعجزة تثبت بالحديث الصحيح كما اتفق عليه علماء الحديث والأصول، وكتب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد مَلْأىٰ بالأحاديث الصحيحة المُثبِتة لمعجزات الأنبياء، وكذلك كتب الدلائل والسِّيرة مثل "دلائل النبوة" لأبي نُعيم، والبيهقيِّ، و"سيرة ابن إسحاق" وغيرها.

والمُقرَّر عند العلماء أنَّ خبر الآحاد يعمل به في العمليَّات التي لا تتعلَّق بالذَّات والصِّفات، وتوضيح ذلك:

أنَّ ما يتعلَّق بوجود الله تعالىٰ وتوحيده وحياته وعلمه وقدرته ووجوب اتصافه بالكمال المطلَق، إنما يثبت بالدليل العقليِّ والنقليِّ القطعيِّ، وما عدا ذلك

كالمعجزات وخبر ما بعد الموت من نعيمٍ وعذابٍ فإنه يثبت بخبر الآحاد من غير خلافٍ بين العلماء.

وعبدالوهاب النجَّار لا يعرف هذه الأشياء المتفق عليها فهو يرد الأحاديث التي تفيد حصول خارقٍ لنبيٍّ بدعوىٰ أنَّ المعجزة لا تثبت إلَّا بدليلٍ قطعيِّ الثبوت والدلالة.

وهذا جهل من جهات:

إحداها: أنه خرقٌ لإجماع العلماء حسبما مَرَّ بيانه.

ثانيتها: أنه يردُّ الأحاديث المُخرَّجة في "الصحيحين" ويحاول تضعيفها، وهذا خرقٌ لإجماع العلماء علىٰ صحَّة ما في "الصحيحين" وتلقِّيه بالقبول، بل ذهب أبو إسحاق وأبو حامد الإسفراينيَّان وأبو الطيب الطبريُّ وأبو إسحاق الشيرازيُّ الشافعيون، والقاضي عبدالوهاب المالكيُّ، والسرخسيُّ الحنفيُّ، وأبو يعلىٰ وأبو الخطاب وابن الزَّاغُوني الحنبليون، وابن فورك مِن المتكلِّمين، وابن طاهر المقدسي وأبو نصر عبدالرحيم بن عبدالخالق بن يوسف وابن الصلاح وابن تيمية وابن القيِّم من الحُفَّاظ إلىٰ أنَّ خبر "الصحيحين" يفيد العلم، وهو الراجح عند جماعة المُحقِّقين، فأي جهالةٍ وأي وقاحةٍ أقدم عليها النجَّار بطعنه في أحاديث "الصحيحين"؟!!

ثالثتها: أنَّ خبر الآحاد الذي لا يُعمَل به في العمليَّات يُعمَل به فيما يُفيدُه من أحكامٍ وآدابٍ، ولا يجوز إهماله كما فعل عبدالوهاب النجَّار، فإنه لجهله المطلق ردَّ أحاديث "الصحيحين" وأهملها إهمالًا تامًّا، ولا يُعْذَر بجهله، بل هو مؤاخَذٌ ومعاقَبٌ.

كرسى سليمان عليه السلام

قال وهب بن مُنبِّهٍ وكعبٍ الأحبار وغيرهما: إنَّ سليمان عليه السلام لما مَلَكَ بعد أبيه، أمر باتِّخاذ كرسيٍّ ليجلس عليه للقضاء، وأمر أن يُعمَل بديعًا مَهُولًا بحيث إذا رآه مُبطِلٌ أو شاهد زورٍ ارتدع وتهيَّب، فأمر أن يُعمَل مِن أنياب الفِيَلَة مُفَصَّصةً بالدُّرِّ والياقوت والزبرجد وأن يحفَّ بنخيل الذهب.

وأفاضوا في صفة الكرسيِّ بكلامٍ طويلٍ فيه كثيرٌ من المبالغة والغرابة والطرافة، بل هو أشبه بمقامة أدبية مثل مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ، أو مقامات أبي القاسم الحريريِّ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: ٣٥] استُشكِلَ سؤال سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده.

وقلت جوابًا عن ذلك في "خواطر دينية":

«أمَّا سؤال سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده فليس حَسَدًا أو حُبًّا للاستئثار كما قال بعض المارقين، بل ليكون معجزته على نبوته كما كانت الناقة معجزة صالحٍ والعصا معجزة موسى، وإنما طلب المُلْكَ معجزةً؛ لأنه رسولٌ إلى اليهود وهم عبيد المال، فلا يُخضِعهم إلَّا مظاهر المُلْك وبريق الذهب، وانظر إلى عيسى عليه السلام حين جاءهم بالزهد والتقلُّل حاولوا قتله كما قتلوا زكريَّا ويحيى عليهما السلام، وما خضعوا لموسى عليه السلام إلَّا لشدَّته عليهم، فقد كان يسوقهم سوق العبيد بالعصا، وكانوا يستضعفون هارون عليه السلام كما جاء في قوله ﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]». اهـ

روى أبو عبيد عن صالح بن مسمار قال: لما مات نبيُّ الله داود عليه السلام أوحى الله إلى سليمان عليه السلام: أن سلني حاجتك. قال: أسألك أن تجعل لي قلبًا يخشاك كما كان قلب أبي، وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي. فقال الله تعالى: أرسلت إلى عبدي وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني، لأهبنَّ له مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فألهمه سؤال الملك المذكور.

وروى الطبرانيُّ عن رافع بن عمير قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «قال اللهُ عزَّ وجلَّ لداودَ عليه السَّلام: ابْنِ لي بَيْتًا في الأرضِ، فبَنَى داودُ بَيْتًا لنَفْسِهِ قبلَ البيتِ الذي أُمِرَ به، فأوحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه: يا داودُ، نَصَبْتَ بيتِكَ قبلَ بيتي، قال: يا رَبِّ هكذا قلتَ فيما قضيتَ: مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ، ثُمَّ أَخَذَ في بِنَاءِ المسجدِ، فلمَّا تَمَّ السُّورُ سَقَطَ ثُلُثَاهُ، فشكا ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ فأوحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه أَنَّهُ لا يَصْلُحُ أن تَبْني لي بَيْتًا، قال: أي رَبِّ، ولِمَ؟ قال: لِمَا جَرَتْ على يدَيْكَ مِن الدِّمَاءِ، قال: أي رَبِّ، أوَ لم يكن في هواكَ ومَحَبَّتِكَ؟ قال: بلى، ولكنَّهم عبادي وأنا أرحَمُهُمْ، فشَقَّ ذلِكَ عليه، فأَوْحَى اللهُ إليه: لا تَحْزَنْ فإنِّي سأَقْضِي بِناءَهُ على يَدَي ابنِكَ سُليمانَ، فلمَّا ماتَ داودُ أَخَذَ سُليمانُ في بِنائِهِ، فلمَّا تَمَّ قَرَّبَ القَرَابِينَ وذَبَحَ الذَّبَائِحَ وجَمَعَ بني إسرائيلَ، فأَوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه: قد أَرَى سُرُورًا ببُنْيانِ بَيْتي فسَلْنِي أُعْطِكَ، قال: أَسْأَلُكَ ثلاثَ خِصَالٍ: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَكَ، ومُلْكًا لا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِن بعدي، ومَن أَتَى هذا البيتَ لا يُرِيدُ إلَّا الصَّلاةَ فيه خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَمَّا اثْنَتَيْنِ فقد أُعْطِيَهُما وأنا أرجو أن يكون قد أُعْطِيَ الثالثةَ».

هكذا رواه الطبرانيُّ في "مجمعه الكبير" من طريق محمد بن أيوب بن سويد، عن أبيه، عن إبراهيم بن أبي عُلْبَةَ، عن أبي الزاهرية، عن رافع بن عُميرٍ.

ومحمد بن أيوب؛ قال ابن حِبَّان: «يضع الحديث». وقال الحاكم وأبو نعيم: «روىٰ عن أبيه أحاديث موضوعةً». ونصَّ الذهبيِّ علىٰ أنَّ هذا الحديث مِن وَضْعِهِ.

وروىٰ النَّسائيُّ عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّ سليمانَ بن داودَ عليهما السلام لَمَّا بنى بيتَ المَقْدِسِ سَأَلَ الله عزَّ وجلَّ خِلالًا ثلاثةً: سَأَلَ الله عزَّ وجلَّ حُكْمًا يُصادِفُ حُكْمَهُ فأُوتِيه، وسَأَلَ الله عزَّ وجلَّ مُلْكًا لا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِن بعدِه فأُوتيه، وسَأَلَ الله عزَّ وجلَّ حين فَرَغَ مِن بناءِ المسجدِ ألَّا يأتيه أَحَدٌ لا يَنْهَزُهُ إلَّا الصَّلاةُ فيه أن يُخْرِجَهُ مِن خَطِيئَتِهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». إسناده صحيحٌ.

هل سليمان بنى المسجد الأقصى؟

هذا ما أفاده الحديث المذكور، وأفاد القرآن الكريم أنَّ إبراهيم عليه السلام بنىٰ البيت الحرام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] وأنه أوَّل بيت قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. وهذا واضحٌ لا إشكال فيه.

لكن ثبت في "صحيح البخاري" عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أي مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّل؟ قال: «**المسجدُ الحرامُ**». قلتُ: ثُمَّ أي؟ قال: «**المسجدُ الأقصى**» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعون سنةً ثُمَّ**

أينما أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بعدُ فصَلِّهْ».

قال ابن الجوزيِّ: «فيه إشكالٌ؛ لأن إبراهيم بنىٰ الكعبة وسليمان بنىٰ بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنةٍ».

وقد نقل الحافظ في "فتح الباري" عِدَّة أجوبة عن هذا الإشكال ومنها - وهو جواب ابن الجوزيِّ نفسه- قال: «ليس إبراهيم أول من بنىٰ الكعبة، ولا سليمان أول من بنىٰ بيت المقدس، فقد روينا أنَّ أوَّل مَن بنىٰ الكعبة آدم عليه السلام، ثُمَّ انتشر ولده في الأرض، فجائزٌ أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس، ثُمَّ بنىٰ إبراهيم الكعبة بنصِّ القرآن. ومنها قول الخطابي: يشبه أن يكون المسجد الأقصىٰ أول ما وضع بناءه بعض أولياء الله قبل داود وسليمان، ثُمَّ داود، ثُمَّ سليمان فزادا فيه ووسَّعَاهُ فنُسب إليهما بناؤه.

ومنهما: ما نقله الحافظ عن ابن هشامٍ قال في كتاب "التيجان": «إنَّ آدمَ لَمَّا بنىٰ الكعبة أمره الله بالسير إلىٰ بيت المقدس، وأن يبنيه فبناه ونسك فيه، قال الحافظ أيضًا: وقيل إنَّ آدم لما صلَّىٰ إلىٰ الكعبة، أمر بالتوجُّه إلىٰ بيت المقدس، فاتخذ فيه مسجدًا وصلَّىٰ فيه ليكون قبلةً لبعض ذريِّته».اهـ

وقال القرطبيُّ في "تفسيره": «وقد رُوي أنَّ أوَّل مَن بنىٰ البيتَ آدمُ عليه السلام، فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عامًا، ويجوز أن تكون الملائكة أيضًا بنته بعد بنائها البيت بإذن الله».اهـ

وقال ابن القيِّم في "الهدي": «فإنَّ سليمان إنما كان له من المسجد الأقصىٰ تجديدُه لا تأسيسُه، والذي أَسَّسَهُ هو يعقوب بن إسحاق صلىٰ الله عليهما وسلَّم بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار».اهـ ومثله لابن كثيرٍ في "تاريخه".

مُلْكُ سليمان عليه السَّلام

سَخَّرَ اللهُ لسليمانَ الجنَّ والشياطين والرِّيحَ كما ثبت في القرآن الكريم، وللإسرائيليَّات في هذا المجال مبالغاتٌ وتهويلاتٌ هي أقرب إلى الخيال مَن أن تكون حقيقةً.

ما أُعطيه سليمان عليه السلام

روى ابن أبي حاتمٍ عن قتادة قال: كان داود أعطي ثلاثًا: سُخِّرت له الجبال يُسبِّحْنَ معه، وأُلين له الحديد، وعُلِّمَ مَنْطِقَ الطيرِ.

وأُعطي سليمان مَنْطِقَ الطيرِ، وسُخِّرت له الجنُّ وكان ذلك ممَّا ورث عنه، ولم تُسَخَّر له الجبال، ولم يُلن له الحديد.

احترام النبى دعوة سليمان عليهما الصلاة والسلام

روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ عِفْريتًا مِن الجِنِّ تفلَّتَ عليَّ البارحَةَ ليَقْطَعَ عليَّ صلاتي، وإنَّ اللهَ تعالى أَمْكَنَني منه، فلقد هَمَمْتُ أن أَرْبِطَهُ إلى سارِيةٍ مِن سَوَاري المسجدِ حتَّى تُصْبِحُوا فتَنْظُروا إليه كلُّكُم، فذَكَرْتُ قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾** [ص: ٣٥] **فرَدَّهُ اللهُ خاسِئًا**».

وروى أحمد وعبدُ بن حُميد والبيهقيُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**مرَّ عليَّ الشيطانُ فتناوَلْتُهُ فخَنَقْتُهُ حتَّى وجدتُ بَرْدَ لسانِهِ على يدي فقال: أَوْجَعْتَني أَوْجَعْتَني. ولولا ما دعا به سليمان لأصبح مُناطًا إلى أسطوانةٍ مِن أساطين المسجدِ ينظُرُ إليه وِلْدانُ أهلِ المدينة**». وللحديث طرقٌ وألفاظ.

وادي النمل

قال الله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٧ – ١٨].

قال قتادة في وادي النمل: ذكر لنا أنه وادٍ بأرض الشام.

وقال ياقوت في "معجم البلدان": «وادي النمل الذي خاطب سليمان عليه السلام النمل فيه، قيل: هو بين جبرين وعسقلان».اهـ

وقال ابن بطوطة في رحلته: «بظاهر عسقلان وادي النمل ويقولون: إنه المذكور في الكتاب العزيز».اهـ

مسائل

الأولى

قال السهيليُّ: «ذكروا اسم النملة المُكلِّمة لسليمان عليه السلام وقالوا: اسمها حرميا، ولا أدري كيف يُتصَوَّر للنملة اسم علمٍ؟!!

والنمل لا يُسمِّي بعضهم بعضًا، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدةٍ منهم باسم علمٍ؛ لأنه لا يتميَّز للآدميين بعضهم من بعضٍ، ولا هم أيضًا واقعون تحت ملكية بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها، فإنَّ العَلَمَيَّة فيما كان كذلك موجودة عند العرب».اهـ

يعني عَلَمَيَّة الجنس لا عَلَمَيَّة الشخص. وفي "الألفيَّة":

ووَضَعُوا لبَعْضِ الأَجْنَاسِ عَلَمَا

الثانية

قول النملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال القرطبيُّ: «الْتِفَاتَةٌ مؤمنٍ، أي: من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يَحْطِمُون نملةً فما فوقها إلَّا بألَّا يشعروا».اهـ

ونظير قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قول الله تعالى في جند النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥]. التفاتًا إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمنٍ، إلَّا أنَّ المُثني على جُند سليمان هي النملة بإذن الله، والمُثني على جُند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الله عزَّ وجلَّ، لما لجنوده من

الفضل على جنود غيره من الأنبياء، كما للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسلم فضل على جميع الأنبياء.

الثالثة

روى أبو نعيمٍ في "الحلية" وابن أبي حاتمٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «كنتُ مع كعب الأحبار وهو عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كعب: يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيءٍ قرأته في كتب الأنبياء عليهم السلام؟ إنَّ هامَة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقالت: السلام عليك يا نبيَّ الله. فقال: وعليك السلام يا هامَة أخبريني: كيف لا تأكلين الزرع؟ قالت: يا نبيَّ الله إنَّ آدم أُخرج من الجنَّة بسببه. قال: فكيف لا تشربين الماءَ؟ قالت: يا نبيَّ الله لأنه غرق فيه قوم نوحٍ. قال: كيف تركتِ العمران وسكنت الخراب؟ قالت: لأن الخراب ميراث الله، فأنا أسكن ميراث الله. قال: فما تقولين إذا جلست فوق خربة؟ قالت أقول: أين الذين كانوا يتنعَّمون فيها؟ قال سليمان: فما صياحك في الدور إذا مررت عليها؟ قالت أقول: ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد. قال: فمالك لا تخرجين بالنهار؟ قالت: من كثرة ظلم بني آدم لأنفسهم. قال: فأخبريني ما تقولين في صياحك؟ قالت: أقول: تزوَّدوا يا غافلين وتهيَّئوا لسفركم سبحان خالق النور. فقال سليمان عليه السلام: لَلْهَامَةُ على ابن آدمَ أشفقُ وأحذَرُ عليه، وليس مِن الطُّيورِ طيرٌ أنصحُ لابن آدمَ وأشفَقُ عليه مِن الهامَةِ، وما في قُلُوبِ الجُهَّالِ أبغضُ مِن الهامَةِ». اهـ

قلت: هذه القصة من نوع "كَلِيلَةَ ودِمْنَةَ" التي تحكى فيها قصص وحكم على ألسنة الحيوانات.

الرابعة

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢].

معنىٰ الآية: وسخرنا لسليمان الريح غدوها في الصباح مسيرة شهر ورواحها في المساء مسيرة شهر.

قال السُّدِّيُّ: كانت تسير به في يوم مسيرة شهرين.

وقال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهرٍ للمسرع، ثم يروح من اصْطَخْر ويبيت بكابُل وبينهما شهرٌ للمسرع.

قال وهب بن مُنبِّه: ذكر لي أن منزلًا بناحية دجلة مكتوبًا فيه – كتبه بعض صحابة سليمان –: نحن نزلنا وما بنيناه، ومبنيًّا وجدناه، غدونا من اصطخر فقلناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله تعالىٰ فبائتون في الشام.

وقال ابن زيد: كان مستقر سليمان بمدينة تدمر، وكان قد أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلىٰ العراق فبنوها له بالصُّفاح -كرمان- والعمد والرخام الأبيض والأصفر. وفيه يقول النابغة:

إلا سليمان إذا قال الإلهُ له ... قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ

وخَيِّسِ الجِنَّ إنِّي قد أَذِنْتُ لهم ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

فمَنْ أَطَاعَكَ فانْفَعْهُ بطَاعَتِهِ ... كما أَطَاعَكَ وادْلُلْهُ علىٰ الرَّشَدِ

ومَنْ عَصَاكَ فعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً ... تَنْهَىٰ الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ علىٰ ضَمَدِ

ووجدتُ هذه الأبيات منقورةً في صخرةٍ بأرض يَشْكُر:

ونحنُ ولا حولَ سِوىٰ حولِ ربِّنا نروحُ إلىٰ الأوطانِ من أرضِ تَدْمُرِ
إذا نحنُ رُحْنا كان ريثُ رواحِنا مَسيرةَ شهرٍ والعدوُّ لآخرِ
أناس شَرَوْا الله طوعًا نفوسَهم بنصرِ ابنِ داود النبيِّ المُطَهَّرِ
لهم في معالي الدِّين فضلٌ ورفعةٌ وإن نُسبوا يومًا فَمِنْ خيرِ مَعْشَرِ
متىٰ يركبوا الرِّيحَ المُطيعَةَ أسرعَتْ مُبادِرَةً عن شهرها لم تقصر
تُظِلُّهُمُ طيرٌ صُفُوفٌ عليهم متىٰ رَفْرَفَتْ مِن فوقهم لم تُنَفَّرِ

وقال ياقوت في "معجم البلدان": «اصْطخِر: بالكسر وسكون الخاء: بلدة بفارس، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكنوزها.

وفي بعض الأخبار: أنَّ سليمان بن داود عليه السلام كان يسير من طبرية إليها غدوة إلىٰ عشية، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان عليه السلام، وزعم قوم من عوام الفرس أنَّ الملك الذي كان قبل الضَّحَّاك هو سليمان بن داود».اهـ

وفي "معجم البلدان" أيضًا: «تَدْمُر -بالفتح ثم السكون وضم الميم-: مدينةٌ قديمةٌ مشهورةٌ في برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، وهي من عجائب الأبنية موضوعة علىٰ العمد الرخام، زعم قومٌ أنها فيما بنته الجنُّ لسليمان عليه السلام، ونعم الشاهد علىٰ ذلك قول النابغة الذبياني». وذكر بيتين من أبياته التي تقدمت آنفًا.

و«كابُلُ»: بضم الباء وباللام: هي عاصمة أفغانستان اليوم. و«يَشْكُر»؛ بوزن الفعل المضارع: بلد بالشام.

بساط سليمان عليه السلام

ذكر الله تسخير الريح لسليمان، فكانت طوع أمره يُسخِّرها كما يسخرُّ الراكب دابته حيث يريد، وكان له بساطٌ يجلس عليه، وتحمله الريح إلى الجهة التي يريدها، لكن الإسرائيليَّات هَوَّلت في وصف البساط وبالغت في تفاصيله مبالغةً غير مقبولةٍ ولا معقولةٍ، من جملة ذلك: أنَّ للبساط ألف ركنٍ، في كلِّ ركنٍ مئات الكراسي، وأنه يحمل من الإنس والجنِّ ما يبلغ مليوني نسمة، وأما طوله فعدَّة فراسخ لو حسبت بتقديرات اليوم كانت نحو مائة كيلومتر، وهذه أكاذيب يتنزَّه القلم عن تسطيرها.

فلذلك أعرضتُ عن ذكرها، وألقيت بالتنبيه على كذبها، لئلا يغتر بها الناس.

هل ملك سليمان الدنيا؟

روى وكيع في "تفسيره" عن مجاهدٍ قال: ملك الدنيا أربعة: مؤمنان وكافران: نمروذ، وبُخْتَنَصَّر، وسليمان، وذو القرنين.

وهذا غير صحيحٍ فلم يملك الدنيا أحد قَطُّ، وسليمان عليه السلام كان مَلِكًا على الشام ولم يملك غيرها، ولم يعلم بمملكة سبأ في اليمن حتى أخبره بها الهدهد.

أخبار منكرة

روىٰ ابن جريرٍ عن قتادة: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥] قال: لا أسلبه كما سلبته.

وروىٰ عبد بن حميد عن الحسن في الآية قال: لا تسلبينه كما سلبتنيه.

وهذا خطأ، وسليمان لم يسلبه الله ملكه أبدًا، ولكن عيب المتقدِّمين رحمهم الله أنهم يعتمدون الإسرائيليات ويُفسِّرون بها آيات القرآن الكريم.

وروىٰ عبد بن حميد عن وهب بن مُنبِّه: أنه ذكر مِن مُلْكِ سليمان وتعظيم مُلْكِهِ: أنه كان في رباطه اثنا عشر ألف حصان، وكان يذبح علىٰ غذائه سبعين ثورًا كلَّ يومٍ سوىٰ الكباش والطير والصيد. فقيل لوهب: أكان هذا يسع ماله؟ قال: كان إذا ملك الملك علىٰ بني إسرائيل اشترط عليهم أنهم رقيقه، وأن أموالهم له، ما شاء أخذ منها وما شاء ترك.

قلت: إذا كان هذا عمل ملوك بني إسرائيل فلا يجوز في حقِّ سليمان النبيِّ المعصوم، والعجب من وهب كيف استجاز هذا الظلم في حقِّ سليمان عليه السلام؟!

والذي يجب ذكره في هذا الموضع: ما رواه أحمد في "الزهد" عن عطاء قال: «كان سليمان عليه السلام يعمل الخوص بيده ويأكل خبز الشعير، ويطعم بني إسرائيل الحواري».

وروىٰ ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن سليمان بن عامر الشيبانيِّ قال: بلغني أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أرأيتم سليمان وما أعطاه الله تعالى**

مِن مُلْكِهِ؟ فلم يكن يرفع طَرْفَهُ إلى السَّماءِ تَخشُّعًا حتَّى قبضهُ الله تعالى».

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ما رَفَعَ سليمانُ عليه السلام طَرْفَهُ إلى السَّماءِ تَخشُّعًا حيث أعطاهُ اللهُ تعالى ما أعطاهُ».

وروىٰ ابن المنذر عن ابن جريجٍ قال: زعموا أنَّ سليمان عليه السلام يدخل الجنَّة بعد الأنبياء بأربعين سنةً لما أُعطي مِن المُلْك في الدنيا.

قلت: هذا زعمٌ باطلٌ، فإنَّ الله تعالىٰ قال لسليمان: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

قال الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾: الملك الذي أعطيناك فأعطِ ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تبعة، ولا حساب عليك في ذلك.

فكيف يزعم زاعمٌ بعد هذا المدح والثناء أنَّ سليمان يتأخَّر في دخول الجنة أربعين عامًا بعد الأنبياء؟!!

قال القرطبي في "تفسيره": «وفي بعض الأخبار: يدخل الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفًا. ذكره صاحب "القوت"، وهو حديث لا أصل له؛ لأنه سبحانه إذا كان عطاؤه لا تبعة فيه لأنه من طريق المنة، فكيف يكون آخر الأنبياء دخولًا الجنة وهو سبحانه يقول: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠]». اهـ

ويقرب من هذا: الحديث الذي فيه أنَّ عبدالرحمن بن عوفٍ يدخل الجنَّة حَبْوًا، وهو حديثٌ باطلٌ؛ لأن عبدالرحمن أحد العشرة المُبشَّرين بالجنَّة وأحد

طائعين فَلِي أَخْذه قبل ذلك لا بعده». وهذا خطأ والسِّياق يردُّه؛ لأن سليمان عليه السلام ردَّ الهدية وقال: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦] فكيف يردها ثُمَّ يطمع في عرشها؟!

وأيضًا فملكة سبأ لم تكن محاربة، بل أتت مُلَبِّيةً دعوته، وأيضًا عرشه أعظم من عرشها، كما أنَّ مقام سليمان النبيِّ يتنزَّه عن الحرص والطمع في اقتناء المال.

ويُبطِل كلام المحلِّي أيضًا قول سليمان عليه السلام: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]، وقوله لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]، فلو كان طلب إتيان العرش ليأخذه لم يكن لكلامه هذا فائدةٌ؛ لأنه حيث امتلكه لا يهمه أتهتدي أم لا.

لكنه طلب الإتيان بالعرش بتلك السرعة المذهلة لإظهار معجزته كما قدَّمنا، ثُمَّ عرضه عليها بعد تغيير منه ليختبر ذكاءها فوجدها ذكيَّةً فَطِنةً، ومِن تمام فِطْنتها أنها حين ظنَّت الصرح لُجَّة ماءٍ وكشفت عن ساقيها لتعبره، وأخبرها أنه من زجاجٍ شفَّافٍ أدركت من غلطها هنا خطأها في عبادة الشمس، وفيما كانت تنسبه لها من منافع ومضار ليست صادرة عنها بالاختبار، وإنما هي مُسَخَّرةٌ لخالقها وخالق العالم كلِّه، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة الشمس ووصفها بالألوهية ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وأسلمت بلقيس بنت السيرح بن ذي جدن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وكان أبوها من أكابر الملوك، وكان يأبى أن يتزوَّج من أهل اليمن، فيقال إنه

الستة الذين توفِّي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو عنهم راضٍ ومن أهل بدرٍ، ومن المهاجرين، وتَصَدَّق صدقاتٍ عظيمةً، فكيف يدخل الجنَّة حَبْوًا؟!

ملكة سبأ

جاء ذكرها في قصة الهدهد الذي دلَّ عليها وعلىٰ مملكتها سبأ، وذكر القرآن من صفتها ما دلَّ علىٰ أنها عاقلةٌ حكيمةٌ ذكيةٌ، وأنها لم تكن تنفرد عن رعيتها بأمرٍ بل ترجع إليهم فيما يهمها من المسائل العظيمة، وتستطلع ما عندهم من الرأي والمشورة: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢] وكان الرعيَّة يولونها تقديرًا وطاعةً: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣].

ومِن حِكْمتها: أنها لم تتسرع في الردِّ علىٰ سليمان حتىٰ تتأكَّد مِن أمره أَمَلِكٌ هو أم نبيٌّ؟ فلما تحقَّقت نبوته أجابته، وذهبت للقائه، وأراد سليمان أن يريها معجزةً تزيد بها يقينًا ومعرفةً: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨ - ٣٩]وكان يجلس لتصريف أمول الدولة صباحًا ويقوم من مجلسه ذلك عند الزوال-وهو مقدار أربع ساعات- لكن سليمان كان يريد أسرع من هذا: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، وهذه سرعةٌ غير عاديةٍ تشبه سرعة الصوت أو أسرع منها.

(تنبيه): قال الجلال المحلِّي في "تفسير الجلالين" تعليقًا علىٰ قول سليمان: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] ما نصُّه: «منقادين

تزوَّج امرأة مِن الجنِّ اسمها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقمة وهي بلقيس.

روىٰ الثعلبي من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن النضر بن أنسٍ، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**كان أحد أبوي بلقيس جِنِّـيًّا**». قال ابن كثيرٍ: «هذا حديثٌ غريبٌ، وفي إسناده ضعفٌ».

هل يجوز التزاوج بين الإنس والجن؟

قال حرب الكرماني في كتاب "مسائل أحمد وإسحاق": حدَّثنا محمد بن يحيىٰ القطعيُّ: حدَّثنا بشر بن عمر: حدثنا ابن لَهيعة، عن يونس بن يزيد، عن الزهريِّ، قال: نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن نكاح الجنِّ.

هذا حديثٌ مرسلٌ فيه عنعنة ابن لَهيعة.

وروىٰ حرب أيضًا عن الحكم: أنه كره نكاح الجنِّ، وعن قتادة والحسن أنهما كرهاه أيضًا.

وقال حرب: قلت لإسحاق بن راهويه: رجلٌ ركب البحر فكسر به فتزوَّج جِنِّـيَّةً؟ قال: مناكحة الجِنِّ مكروهةٌ.

وقال ابن أبي الدنيا: حدَّثنا الفضل ابن إسحاق: حدَّثنا أبو قتيبة، عن عقبة الأصمِّ وقتادة؛ وسُئلا عن تزويج الجنِّ؟ فكرهاه.

وقال جمال الدِّين السجستانيُّ من أئمَّة الحنفية في كتاب "منية المفتي" نقلًا عن السراجية: لا يجوز المناكحة بين الإنس والجنِّ وإنسان الماء لاختلاف الجنس.

وذكر نجم الدين الزاهديُّ الحنفيُّ في "منية المفتي" قال: سُئل الحسن

البصريُّ عن التزوُّج بجنِّـيَّةٍ؟ فقال: يجوز بشهود رجلين.

وقال الإسنوي الشافعي ناقلًا عن القاضي أبي القاسم ابن البارزي الشافعي: لا يجوز التزوُّج من الجنِّ.

وقال أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي في كتاب "الإلهام والوسوسة" في باب نكاح الجنِّ: حدَّثنا مقاتل: حدَّثني سعد بن داود الزبيدي قال: كتب قوم من اليمن إلى مالك بن أنسٍ رضي الله عنه يسألونه عن نكاح الجنِّ وقالوا: إنَّ هاهنا رجلًا من الجنِّ يخطب إلينا جاريةً يزعم أنه يريد الحلال؟ فقال: ما أرى بذلك بأسًا في الدين، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها من زوجك؟ قالت من الجنِّ، فيكثر الفساد في الإسلام بذلك.

وروى عثمان بن سعيد الدارميُّ في كتاب "اتباع السنن والآثار" عن الأعمش قال: حدَّثني رجلٌ من بجيل قال: علق رجل مِن الجنِّ جاريةً لنا، ثُمَّ خطبها إلينا وقال: إني أكره أن أنال منها محرَّمًا. فزوَّجناها منه، قال: فظهر معنا يُحدِّثنا، فقلنا: ما أنتم؟ قال: أُمَمٌ أمثالكم وفينا قبائل كقبائلكم. قلنا: فهل فيكم هذه الأهواء؟ قال: نعم فينا من كلِّ الأهواء القَدَرِيَّة والمُشَبِّهة والمُرجئة. قلنا: من أيها أنت؟ قال: مِن المرجئة.

وروى أحمد بن سليمان النجَّاد في "أماليه" عن أبي معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تزوَّج إلينا جنيٌّ، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ قال: الأرز. قال: فأتيناه به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدًا. فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا. قال الحافظ المِزِّيُّ: «هذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الأعمش».

ورواه أيضًا الخرائطيُّ عن الرماديِّ، عن داود الضبيِّ، عن أبي معاوية الضرير، عن الأعمش قال: شهدت نكاحًا للجنِّ، بكُوثىٰ، قال تزوَّج رجلٌ منهم إلىٰ الجنِّ، فقيل لهم: أي الطعام أحب إليكم؟ قالوا: الأرز. قال الأعمش: فجعلوا يأتون بالجفان فيها الأرز فيذهب ولا نرىٰ الأيدي.

«كُوثىٰ» بالضم والقصر: قرية بالعراق.

قلت: هذه الحوادث تدل علىٰ أنَّ الجنَّ في عهد السلف كان عندهم خوفٌ من عذاب الله وبعد عما يوجب عقابه، بحيث كان الجنُّ إذا عشق إنسيَّةً خطبها من أهلها طلبًا للحلال، أمَّا في عصرنا فقد كثر الفساد في الإنس والجنِّ وضعف الدين عندهم وذهبت خشية الله من قلوبهم، وصار الجنِّيُّ إذا أحب إنسيَّةً وعَشِقها إمَّا أن يؤذيها في ذاتها بالصرع والتخبيل كما هو مشاهدٌ في كثيرٍ مِن النِّساء وقد عالجنا بعض هذه الحالات، وإمَّا أن يأتيها اغتصابًا وإن كانت متزوِّجةً.

وقد عُرضت عليَّ حالتان مِن هذا القَبيل:

إحداهما: بقبيلة بني سعيد -إقليم تطوان- إمرأةٌ عشقها جنيٌّ فكان يأتيها وهي في عملها في الحقل، تراه حين يأتي فتقول: ها هو جاء. فيجامعها، والناس لا يرونه ولا زوجها.

والأخرى: في العرائش: عشق جنيٌّ امرأةً مُتزوِّجةً فيواقعها في بيتها وزوجها حاضر لا يراه. وقد سُئلتُ عن حكم هذه الحالة.

فأجبت: إذا كان جماعه مثل البشر وشهوة منها ومنه وإنزال؛ وجب علىٰ زوجها ألَّا يقربها حتىٰ تحيض حيضتين وهي امرأته، وإن لم يكن مثل جماع البشر فلا شيء فيه، والجنُّ آثمٌ في الحالتين.

هذه فوائد استطردناها بمناسبة كون أمِّ بلقيس جِنيَّةً.

روي أنَّ سليمان عليه السلام أراد أن يتزوَّجها فقيل له: إن مؤخر قدميها مثل حافر الدابة. فعمل الصرح الممرد من قوارير ليرىٰ قدميها، فلم يجد عليهما إلَّا شعرًا خفيفًا، فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة، وطلوا ساقيها بالنورة، فصارتا كالفضة فتزوَّجها، وأرادت منه أن يردها إلىٰ ملكها، ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن ثلاثة قصور: غمدا وسالحين وبيتون. وكان يزورها كل شهرٍ فيمكث عندها ثلاثة أيامٍ ثُمَّ يعود علىٰ البساط.

وذكر وهب بن مُنبِّه أنَّ سليمان لم يتزوَّج بلقيس بل زوَّجها بملك همدان، وأقرَّها علىٰ ملك اليمن، وسخَّر زوبعة ملك جنِّ اليمن فبنىٰ لها القصور الثلاثة المذكورة. قال ابن كثيرٍ: «والأول أشهر وأظهر».

أوائل سليمان عليه السلام

(١) هو أول مَن حَكَمَ الجِنَّ واستخدمها في البناء وغوص البحر لاستخراج لآلئه ونفائسه.

وقد أخبر القرآن بذلك في عِدَّة آياتٍ منها قوله تعالىٰ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٣].

«المحاريب»: الأبنية المرتفعة يصعد إليها بدَرَجٍ. و«التماثيل»: الصور الممثَّلة، ولم تكن حرامًا في شريعته بخلاف شريعتنا. و«الجِفان»: جمع جفنة، والجفنة مثل الجابية -أي الحوض- في الكبر يجلس عليها ألف شخصٍ.

وقال تعالىٰ فيما سخَّره لسليمان: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ

﴿ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [ص: ٣٧ - ٣٨]وقال أيضًا: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

(٢) وهو أوَّل من استخدم الجوَّ في أسفاره.

كان يسافر على بساط الريح إلى اصْطخر، وإلى كابُل، وإلى اليمن كما سبق بيان ذلك، فبساطه سبق الطائرات الموجودة في هذا العصر.

تنبيه: عروج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء سبق به أولئك الذين يحاولون غزو الفضاء ويحاولون الوصول إلى الكواكب أو بعضها، مع أنَّ هذه الكواكب التي يحاولون الوصول إليها تسبح في الفضاء الذي بين السماء والأرض، وقد تحدَّى اللهُ الجِنَّ والإنس أن يتجاوزوا أقطار السموات وينفذوا منها إن استطاعوا قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]أي بقوةٍ، وهم لا يملكون القوة مع أنَّ الجِنَّ كانوا يصلون إلى السماء ويقعدون منها مقاعد للسمع كما في سورة الجنِّ، لكن التحدِّي وقع بما هو أبعد من ذلك؛ أن يتجاوزوا السموات ويخرجوا منها، وهذا لا يستطيعونه.

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين عرج إلى سدرة المنتهى تجاوز السموات السبع وفعل ما عجز عنه الثقلان، فكانت معجزته أعظم، ولهذا أعتبر معجزة المعراج أعظم المعجزات بعد القرآن، تحدَّى الله بها الجنَّ والإنس، كما تحدَّاهما بالقرآن الكريم.

(٣) وسليمان عليه السلام أول من استعمل القِطْر.

بكسر القاف، وهو النحاس المذاب في البناء وغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢] قال البيضاويُّ: «أساله اللهُ مِن مَعْدِنه ينبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمَّاه عينًا، وكان ذلك باليمن».اهـ وقال القرطبيُّ: «والظاهر أنَّ الله جعل النحاس لسليمان في معدنه عينًا تسيل كعيون الماء دلالةً على نبوته».اهـ

وممن استعمل القِطْر بعد سليمان ذو القرنين عليهما السلام، جاء الخبر عنه بذلك في (سورة الكهف): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦].

(٤) وهو أول من استعرض الخيل.

قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣١ – ٣٢] الآية.

قال القرطبيُّ: «وذلك أنَّ سليمان كان له ميدانٌ مستديرٌ يُسابق فيه بين الخيل حتى توارت عنه، وتغيب عن عينه في المسابقة، قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]. جعل يمسح سوقها وأعناقها تكريمًا لها، وينظر هل فيها مرضٌ أو عيبٌ.

وفي "الموطأ" عن يحيى بن سعيدٍ مرسلًا: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رؤي وهو يمسح فرسه بردائه، وقال: «**إني عُوتبت الليلة في الخيلِ**». وثبت متصلًا عن مالكٍ، عن يحيى بن سعيدٍ، عن أنسٍ.

وروى النَّسائيُّ عن أبي وهبٍ الجشميِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تَسَمَّوا بأسماء الأنبياءِ، وأحب الأسماء إلى الله عزَّ وجلَّ: عبدالله وعبدالرحمن. وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها...**». الحديث.

(٥) وهو أول من استعمل الماس في قطع الحجارة.

قال سعيد بن أبي عروبة: عن قتادة قال: أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابْنِه ولا يُسْمَع فيه صوت حديد. فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إنَّ شيطانًا في البحر يقال له صخر. فطلبه فأُتِيَ به، فقال له سليمان: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا: لا يُسْمَعُ فيه صوت حديد. قال: فجاء ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه، فجاء بالماس فوضعه عليها فقطعها به، حتى أفضى إلى بيضه، فأخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة.

(٦) وهو أول من أنشأ أسطولًا بحريًّا للتجارة.

ففي ميناء «عصيون جابر» عزم سليمان بمشورة «حيرام» رئيس البنائين أن ينشيء مصنعًا لبناء أسطول عظيمٍ لم يسبق له مثيل، وسمَّى ذلك الأسطول باسم «أسطول ترشيش»، وتولى الفينيقيون تدريب العبرانيين على الملاحة، والتمرُّس بالبحر، واكتمل أول أسطول في خلال سنتين، وأخذ يمخر البحر حتى وصل إلى نهر السند، وكانوا يتقايضون بالسلع التجارية التافهة القيمة التبر الذي يجدونه عند تلك الشعوب، وعاد الأسطول بعدما غاب ثلاث سنوات مثقلًا بالكنوز التي جلبها من تلك الأصقاع الشاسعة في «عصيون جابر»، ونقل ما جاء به على ظهور الجمال والهجان، وكان فيما أتى به ذلك

الأسطول -سوىٰ الذهب والفضة- جملة من القردة والطواويس.

وفي سفر الملوك من أسفار التوراة: «وبنىٰ الملك سليمان سفنًا في عصيون جابر التي بجانب أيلة عند شاطئ بحر القلزم في أرض أدوم».

(٧) روىٰ الطبرانيُّ في "الأوائل" و"المعجم الكبير" عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أول مَن صُنعت له النُّورَةُ ودَخَلَ الحَمَّامَ سليمانُ ابن داود عليهما السلام، فلمَّا دَخَلَ ووجَدَ حَرَّه قال: أوه مِن عذاب الله عزَّ وجلَّ، أوه أوه مِن قبل ألَّا ينفع أوه**».

في سنده إسماعيل بن عبدالله الكنديُّ و هو ضعيفٌ.

(٨) روىٰ ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره" عن بريدة قال: كنت أمشي مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنِّي أعلم آيةً لم تنزل على نبيٍّ قبلي بعد سليمان بن داود**». قلت: يا نبيَّ الله أي آيةٍ؟ قال: «**سأُعَلِّمَكَهَا قبل أن أخرجَ مِن المسجد**». قال: فانتهىٰ إلىٰ الباب، فأخرج إحدىٰ قدميه، فقلت: نسي. ثُمَّ التفت إليَّ وقال: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]. حديثٌ ضعيفٌ.

(٩) وسليمان عليه السلام أوَّل من فَرَّقَ الشُّهودَ.

روىٰ ابن عساكر في "تاريخ الشام" بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: كانت إمرأة حسناء في زمان بني إسرائيل، راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم، فامتنعت علىٰ كلٍّ منهم، فاتفقوا فيما بينهم عليها، فشهدوا عليها عند داود عليه السلام: أنها مَكَّنت من نفسها كَلْبًا لها قد عَوَّدته ذلك منها، فأمر برجمها، فلما كان عشية ذلك اليوم، جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله،

فانتصب حاكمًا، وتزيَّا أربعة منهم بزيِّ أولئك الشُّهود، وآخر بزيِّ المرأة، وشهدوا عليها بأنها مَكَّنت من نفسها كلبًا، فقال سليمان: فَرِّقوا بينهم، فسأل أولهم ما كان لون الكلب؟ فقال: أسود. فعزله، واستدعىٰ الآخر فسأله عن لونه؟ فقال: أحمر. وقال الآخر: أغبش. وقال الآخر: أبيض. فأمر عند ذلك بقتلهم، فحكىٰ ذلك لداود عليه السلام فاستدعىٰ من فوره بأولئك الأربعة، فسألهم مُتفرِّقين عن لون ذلك الكلب، فاختلفوا عليه، فأمر بقتلهم.

قلت: يؤخذ من هذه القصة ما شاع عند النصارىٰ من تمكين النصرانية كلبها من نفسها، وهي عادةٌ مأخوذةٌ عن اليهود لعنهم الله، وقد استعملها بعض المسلمات مع الأسف.

وفاة سليمان عليه السلام

ورَدَ في وفاته حديثٌ مرفوع إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لكنه غير صحيحٍ، وأنا أذكره وأبيِّن ما فيه:

روىٰ ابن جريرٍ في "تفسيره" عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان نبيُّ الله سليمان عليه السلام إذا صَلَّى رأى شجرةً نابتةً بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا. فيقول: لأي شيءٍ أنت؟ فإن كانت لغَرْسٍ غُرسَتْ، وإن كانت لدواءٍ نبتت، فبينما هو يُصلِّي ذات يومٍ إذ رأى شجرةً نابتةً بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب. قال: لأي شيءٍ أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت. قال سليمان عليه السلام: اللهمَّ عمِّ على الجنِّ موتي حتى يعلم الإنس أنَّ الجِنَّ لا يعلمون الغيب. فنحتها عصًا فتوكَّأ عليها حولًا ميتًا والجنُّ تعمل، فأكلتها الأرضة، فتبيَّنت الإنس أنَّ الجنَّ لو كانوا**

يعلمون الغيب ما لَبِثُوا حولًا في العذاب المهين».

في إسناده عطاء الخراسانيُّ وهو ضعيفٌ مُنكَر الحديث، ورواه البزَّار، والحاكم عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا وهو أصح.

وروىٰ السُّدِّيُّ عن أبي مالكٍ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ وعن مرة الهمدانيِّ، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، وعن ناسٍ من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ورضي عنهم قالوا: كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرَّر في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، فدخله في المرة التي توفِّي فيها، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يصبح يوم إلَّا ينبت الله له شجرةً فيأتيها فيسألها: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا، فإن كانت لغَرْسٍ غرسها، وإن كانت لدواء قالت: نبت لدواء كذا. فيجعلها كذلك، حتىٰ نبتت شجرة الخروبة، فسألها: ما اسمك؟ قالت: الخروبة. قال: ولأي شيء نبت؟ قالت لخراب هذا المسجد. قال سليمان عليه الصلاة والسلام: ما كان الله ليخربه وأنا حيٌّ، أنت التي علىٰ وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها وغرسها في حائطٍ له، ثُمَّ قام يُصَلِّي مُتَّكِئًا علىٰ عصاه، فمات ولم تعلم به الشياطين، وهم في ذلك يعملون له ويخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان له كوًىٰ من بين يديه ومن خلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جلدًا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب. فيدخل حتىٰ يخرج من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يسمع صوت سليمان، ثُمَّ رجع ولم يسمع، ثُمَّ رجع فوق البيت ولم يحترق، ونظر إلىٰ سليمان عليه السلام

قد سقط ميتًا، فخرج فأخبر الناس أنَّ سليمان قد مات، ففتحوا عليه فأخرجوه، ووجدوا مِنسأته -وهي العصا بلسان الحبشة- قد أكلتها الأرضة.

وهذا منقولٌ عن أهل الكتاب فلا يلزم تصديقه لا سيما وفيه أشياء مُنكَرةٌ لم أذكرها؛ لأنها من قبيل الخرافة التي لا يقبلها العقل، وما أظن أنها تصح عن ابن عبَّاسٍ وغيره لأنهم أجل من أن ينطقوا بهذا.

ويكفينا الوقوف عند ما أفادته الآية الكريمة: مِن أنَّ سليمان عليه السلام مات مُتوَكِّئًا على عصاه فلما أكلت الأرضة عصاه وخَرَّ علمت الجنُّ أنهم لا يعلمون الغيب، هذا ما يجب الوقوف عنده، وهو محل الفائدة التي هي بيان جهل الجنِّ بالأمور الغيبية المستقبلة على خلاف ما يعتقده كثيرٌ من الناس.

أما أنه مكث ميتًا سنة أو أقل فهذا لا يعنينا؛ لأنه لا فائدة فيه.

نعم، يؤخذ من الآية أنَّ الأنبياء لا تبلى أجسادهم إذا ماتوا، وبهذا جاءت الأحاديث المتواترة، فهو مما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة.

ومِن أفراد القرآن: أنَّ لفظ الأرض حيث وقع فالمراد به الأرض المعروفة إلَّا في هذه الآية فالمراد به الأرضة.

العبرة من قصة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]، والعبرة من قصة سليمان عليه السلام تظهر في الأمور الآتية:

(١) أنَّ سليمان عليه الصلاة والسلام لم يشغله المُلْك الذي أُعطيه عن عبادة مولاه والالتجاء إليه في كلِّ حال، ولذلك وصفه الله بأنه أوَّابٌ، أي: رَجَّاعٌ إلى الله في كلِّ شيءٍ.

(٢) أنه حين تمنَّىٰ أن يرزق أولادًا يجاهدون في سبيل الله ولم يستثن بذكر المشيئة لم يُعطِه الله ما تمنَّاه، مع أنه أعطاه مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، تنبيهًا له أن الإنسان لا ينبغي له أن يترك مشيئة الله فيما يعزم عليه من أفعال وتروكٍ.

(٣) أنه حين علم بملكة سبأ كان أول ما فعل أن دعاها إلىٰ الإسلام، فلم يشغله المُلْك عن واجبه الديني، فيجب علىٰ كلِّ داعٍ إلىٰ الله أن يقدم واجب الدعوة علىٰ جميع مهامِّه وشؤنه.

(٤) قول الله لسليمان: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، أفاد مسألة أصولية وهي: جواز أن يقال لنبيٍّ: احكم بما تشاء فهو صوابٌ.

(٥) أنَّ ما أعطيه من المُلْك ونفوذ الكلمة وتسخير الريح والشياطين، وغير ذلك مما لم يكن لغيره كلُّ هذا لم يصرف عنه ذوق كأس الموت، فحين انتهىٰ أجله حقَّ عليه قول الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وذهب إلىٰ ربِّه في جملة إخوانه النبيين والمرسلين، فسبحان من له الدوام.

تمت قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وكان الفراغ منها يوم الأربعاء، الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، سنة ثمان وأربعمائة وألف هجرية.

والحمد لله ربِّ العالمين.